عـــرض كتـــاب

قراءة رموز المايا

عزة عزت

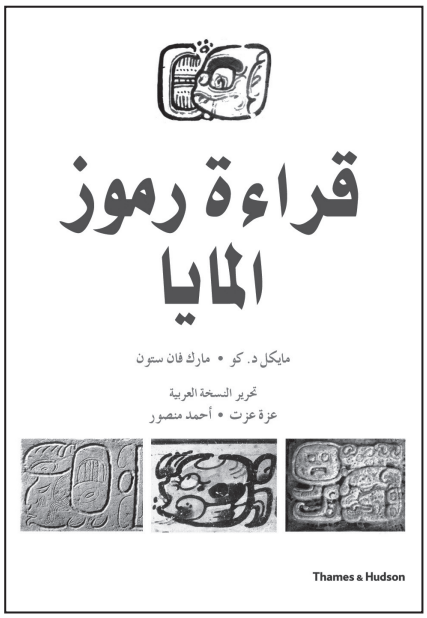

اسم الكتاب	قراءة رموز المايا
تأليف	مايكل د. كو، مارك فان ستون
الناشر	مكتبة الإسكندرية
سنة النشر	2011
رقم التصنيف الدولي	978-977-452-155-8
عدد الصفحات	176
مقاس الكتاب	16 x 24 cm

إن فك رموز كتابة المايا الهيروغليفية قد أدت إلى أن معظم نصوص المايا المكتوبة، سواءً المدرجة على المعالم الأثرية، أو المكتوبة في المخطوطات، أو المرسومة أو المحفورة على السيراميك، يمكن أن تقرأ بقدر من الثقة الآن. وقد أدى فك شفرة رموز المايا إلى تغيير معرفتنا تمامًا بهذه الحضارة القديمة، وأعطى شعب المايا تاريخًا طويلاً وحيويًّا تفتقده مناطق أخرى من العالم الجديد فيما قبل كولومبيا. وفي الماضي القريب، اقتصرت المعرفة العلمية لهذا النوع من الخط على علماء النقوش، ومؤرخي الفن وغيرهم من المتخصصين.

ونظرًا لكونها غير مألوفة لدى الجمهور العام، فمكونات المايا الصعبة المؤلفة من حوالي ٨٠٠ علامة، قد جعلت من هذه المنظومة تبدو أكثر تعقيدًا وغموضًا مما هي عليه. وقد استطاع مؤلف هذا الكتاب – وهو مايكل د.كو والمصور مارك فان ستون – في جمع مادة علمية غنية عن هذه الحضارة العظيمة وهذه الكتابة الثرية، وأخرجاها لنا في صورة هذا الكتاب القيم، والذي سعى مركز الخطوط على ترجمته؛ نظرًا لعدم وجود مراجع عربية كافية عن هذه الحضارة بما تشمله من كتابات وخطوط ونقوش لا حصر لها.

وتشتمل الموضوعات الوارد ذكرها في هذا الكتاب على طبيعة هذا الخط، وتقويم المايا المعقد، والنصوص الخاصة بالأسر الحاكمة والسياسة، وكل جانب من جوانب العالم الطبيعي والخارق التي عايشوها. فمنذ نحو مائة وستين عامًا مضت تم اكتشاف أطلال حضارة المايا القديمة المحجوبة في الأدغال في المكسيك وأمريكا الوسطى.

وكتابة المايا بلا شك كتابة صعبة نسبيًّا سواءً في تركيبها الضمني أو في الطريقة التي أدخل بها الكتبة أشياء متفاوتة عليها. ومع ذلك فإن المادة الموضوعيَّة لمعظم النقوش العامة – مثلها مثل نقوش مصر القديمة – محدودة نسبيًّا وتنطوي على قدر كبير من التكرار والإسهاب.

وكما هو الحال في مصر، كانت هناك صلة وثيقة عند المايا بين النص والصورة؛ إذ كان أحدهما يعد بمثابة تعليق على الآخر. وقراءة هذا الكتاب لا تتطلب معرفة مسبقة بالمايا أو كتابتها. فالهدف هو أن نأخذ القارئ خطوة بخطوة إلى فك شفرة رموز هذه اللغة بأمثلة مأخوذة عن نصوص حقيقية، ونمكّنه من قراءة نصوص بسيطة نسبيًّا من خلال هذا الكتاب الموجز، وأن يكتسب فهمًا أعمق للحضارة المشهودة التي أفرزتها.

ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة واثني عشر فصلاً، بالإضافة إلى رسوم وتصاوير كأمثلة توضيحية بالإضافة إلى معجم كامل عن المايا.

يتحدث الفصل الأول عن الخلفية الثقافية لكتابة المايا ويعطي فيه نظرة شاملة على حضارة المايا، وكيف ازدهرت اندثرت في الأراضي المدارية المنخفضة جنوب شرق المكسيك وأمريكا الوسطى المجاورة. ويذكر فضل فك شفرة (كتابة المايا) والتي أمدتنا بصورة دقيقة إلى حدٍّ كبير عن المجتمع والنظام السياسي للمايا في فترتها الكلاسيكية. أما الفصل الثاني فيتحدث عن طبيعة كتابة المايا؛ من حيث المبادئ الاولية المستخدمة في كتاباتها، وبعض المفاهيم الخاصة بنقل رموز المايا إلى صورة كتابية، ويتخلل هذا شرح عن الرموز المقطعية، والرموز المقطعيَّة الصرفيَّة، والرموز الدلاليَّة مع المكملات الصوتيَّة، وينتهي هذا الفصل بعرض مجموعة من قواعد النحو والتي تتمثل في الأسماء والأنواع والضمائر والصفات والأفعال الخاصة بكتابة المايا.

في حين يستكمل الفصل الثالث الحديث عن هذه الكتابة الشيقة، وفيه يتحدث عن الزمن والتقويم. فالمايا‌ويون القدماء حصَّلوا معرفة عميقة بعلم الفلك من خلال مراقبة السماوات بالعين المجردة، ورصدوا حركة الكواكب والشمس والقمر. ونتعرف في هذا الفصل على الأرقام عند المايا، ودورة التقويم لديهم، وتقويم الأيام الـ٢٦٠، ورموز أشهر المايا. أما الفصل الرابع فينتقل إلى فكرة عرض حياة الملوك والطقوس الملكية، من خلال تاريخ ميلاد الحكام والآلهة التي انحدر من صلبها الملوك، ثم لحظة اعتلاء الملوك للعرش والتي كانت تعد الحدث الأهم التالي في حياة الشخصية الملكية، ثم فكرة كيفية موت ودفن ملوك المايا وملكاتهم وعرض للطقوس التي كانت يغلب عليها الأبهة والعظمة. أما الفصل الخامس فيتحدث عن الأماكن وأنظمة الحكم وفيه شرح كامل عن الرموز التصويرية لأسماء الأشخاص أو أسماء الشخصيات الملكية وكذلك الرموز الخاصة لبعض المدن الكبرى.

ويتناول الفصل السادس أسماء الأسر الملكية وألقابها ويبدأ بشرح واف عن الألقاب والأشكال الرمزية لها. بالإضافة إلى ذكر القائمة الأساسية بأهم الحكام الذين حكموا مدن المايا الكلاسيكية. وينتقل بنا المؤلف إلى الفصل السابع؛ حيث يركز على العلاقات والعبارات الدالة على صلة القرابة. ويشمل ذلك الزوج والزوجة والأبناء وكذلك الأشقاء.

أما الفصل الثامن فيستكمل المؤلف فيه حديثه عن كتابة المايا من خلال الحروب ويعرض فيه الرموز التصويرية للحرب وكيفية اتخاذ الأسرى. أما عن الكتبة والفنون والنصوص الخزفية، فلم يغفل المؤلف ذكرها وهذا ما ذُكر في الفصلين التاسع والعاشر، فاهتم المؤلف فيهما بمستخدمي أقلام الفرشاة، والنحاتين أو النقاشين للرموز التصويرية والمناظر على الآثار الحجرية، سواءً كانت على الأعتاب أو اللوحات أو المزهريات الخزفية، فضلاً عن ذكر مجموعة من الألقاب الخاصة بالكتبة والفنانين.

وقد اهتم المؤلف أيضًا بذكر هذه الحضارة كعالم يرمز له بأنه خارق للطبيعة. وذلك في تناوله للفصل الحادي

عشر؛ حيث يحدثنا عن فكرة الربوبية والأرباب والآلهة الكبرى من خلال عرض موجز بأهم أسمائهم والتي عثر عليها في النقوش الكلاسيكية وفي بعض المخطوطات. ويذكر أيضًا ماهية الأرباب المزدوجين وأرباب الثالوث وآلهة الموت والأرواح القرينة والتي ظهرت على رسومات الأواني الخزفية في المنخفضات الجنوبية للبلاد.

وينتهي المؤلف في هذا الكتاب بالفصل الأخير والذي يتناول فيه فكرة عوالم الجماد والأحياء من خلال إحساس أهل المايا بالعالم المادي وعامل الزمن، وفكرة الاتجاهات لدى أهل المايا والتي ارتبطت لديهم بمواسم الانقلاب الشمسي ونقاطه الأربعة (الشمال، والغرب، والجنوب، والشرق). ثم ينتقل بنا المؤلف إلى عرض شامل عن رموز السماء والأرض في هذه الحضارة، ورسوم وتصاوير الحيوانات وبني البشر كمثال عن عالم الأحياء، والأدوات الحجرية والأزياء وأدوات الزينة وأواني الفخار كمثال عن عالم الجماد.

وتحتوي أغلب الفصول السابقة على مجموعة من التدريبات التي تساعد القارئ على كيفية فهم هذه النقوش وتحوله إلى دارس متمكن من هذه الكتابة وتضع الإجابات الخاصة بهذه التدريبات في نهاية هذا الكتاب، ويزخر الكتاب بمجموعة من الأمثلة التوضيحية من خلال رسوم مصورة التقطها مارك فان ستون بعناية فائقة، وأخيرًا معجم المايا والذي يحتوي على الرموز الدلالية والرموز المقطعية للمايا.

لقد اهتم مركز الخطوط بترجمة ونشر هذا الكتاب بنسخته العربية، وقد اعتمد في ترجمته وتحريره على مجموعة من الأساتذة المتخصصين في مجال الترجمة وهم الدكتور إسحاق عبيد، والدكتورة ميرفت فشل، والدكتور مصطفى رياض. كما شارك في الترجمة أيضًا كل من أحمد منصور، وعزة عزت، وياسمين عبده، ورضوى زكي؛ الذين استطاعوا نقل فكرة هذا الكتاب إلى العربية بجدية فائقة من خلال سهولة العرض برغم دقة الموضوع وتخصصه. وقد قام بمراجعة الترجمة العربية لهذا الكتاب الدكتور محمد عبد الغني والذي أعطى عناية فائقة في ضبطها ومقارنتها مع النسخة الإنجليزية، حتى خرج لنا هذا الكتاب بهذا الشكل الجيد، وهذه الصورة السلسة المبسطة الخالية من أية تعقيدات.